

يكفى التراث الشرقي لنضج الحياة العقلية عند الشرقيين للأستاذ عباس محمود العقاد

—•••—

جرت في هذا المني وضده مناظرة في كلية الآداب بين
الأستاذ العقاد وفريق آخر من جهة ، وبين الأستاذ الراجحي
وفريق آخر من جهة أخرى . وقد نشرنا في العدد الماضي
رأى الأستاذ الراجحي ، وفي هذا العدد ننشر رأى الأستاذ العقاد

هذه الحقيقة وجب أن نقول إن التراث في خلا من العقول للناضجة
قديمًا وحديثًا ، وهذا ما لم يقله أحد من الشرقيين ولا من
الغربيين . وأحسب أن مناظرتي هذه من أول من يشهد في نقي
هذا الزعم لو جرى به لسان في هذا الشأن أو في غير هذا المكان

•••

وبعد فن الواجب أولاً أن نسأل ما هو التراث للشرق ؟
ثم نعرف ما هو النضج العقل ؟ ثم نحال إلى النتيجة التي تؤدي
إليها معرفتنا بهذا وذلك على وجه المخلص كما يقول الأدباء مقترحو
المناظرة ...

فإذا تكلمنا عن التراث الشرقي أو للتراث الغربي خرجت
من حسابنا العلوم الطبيعية التجريبية أو العلوم التي اصطلاحنا على
تسميتها بالعلوم الحديثة ؛ لأن الحقيقة من حقائق الحرارة
أو الضوء أو قوانين الحركة أو خصائص الأجسام — هي حقيقة
ثابتة في جميع الجهات الأصلية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً
بلا اختلاف . أو هي حقيقة إنسانية عالمية تنفرد في لندن كما تنفرد
في القاهرة وينداد ، ولا يكشفها الإنسان حين يكشفها باعتباره
شرقياً أو غربياً ، أو باعتباره مولوداً في الشمال أو الجنوب ، ولكنه
يخترعها باعتباره إنساناً مدركاً لما حوله حيث كان . وإذا اتفق
أن كثيراً من هذه الحقائق العالمية قد كشفها أئناس من الغرب
فليس معنى ذلك أنها خاصة بالغرب وأهل ؛ إذ هي نعمة للحقائق
الطبيعية التي سبقها منذ بداية عهد الإنسان بالعرفه ، فهي جزء
من التراث الإنساني لا مهراء

ويخلص لنا من ذلك أن التراث الشرقي هو التراث الذي
عليه صبغة الشرق وينتمي إليه ولا يمكن أن ينتمي إلى غيره ،
وأن التراث الغربي هو التراث الذي عليه صبغة الغرب وينتمي
إليه ولا يمكن كذلك أن ينتمي إلى غيره . أما العلوم الطبيعية
فليست عليها صبغة شرقية ولا غربية ، ولا مانع من أن يكون
الإنسان شرقياً والتراث وأن يكون ملداً بالعلوم الطبيعية في وقت
واحد . وعلى هذا كيف يتطرق إليها المشك في أن التراث الشرقي
كاف لنضج الحياة العقلية عند ذويه ؟ بل إذا كان التراث الشرقي
وحده قد أخرج عقولاً ناضجة في جميع المصور ، فكيف لا يخرج

حضرات الإخوان والأبناء

كان من نصيبي في مناظرة هذه الليلة أن أؤيد الرأي القائل
بأن التراث الشرقي كاف لنضج الحياة العقلية عند الشرقيين
وقيل أن أدخل في تفصيلات هذا الرأي أسأل سؤالاً لا أنتظر
عليه جواباً لأن جوابه معروف . وهذا السؤال هو : هل يستطيع
أحد أن يقول بأن الشرق خلا من العقول للناضجة في المصور
للقديمة ؟ هل خلا الشرق من الحياة العقلية للناضجة يوم أن كان
التراث الشرقي هو التراث الذي لا تراث غيره ؟

فإذا كنا لا نرى أحداً يستطيع أن يزعم ذلك فقد حكمتنا
بأن التراث الشرقي كاف لنضج الحياة العقلية ، لأننا إذا أنكرنا

والقبح الآخر صريح التوائى ، قال للنطاح : أول من سمى صريح
التوائى القفاى بقوله :

صريح غواف راقمى ورقمى

لدى شب حتى شاب سود التوائى

وصريح للتوائى لقب مسلم بن الوليد أيضاً لقبه هرون

الرشيد بقوله :

هل الميش إلا أن تروح مع الصبا

وتقدو صريح الكاس والأعين النجل

قلت : أنا أشهد :

هل الميش إلا أن تروح أخاعلاً

وتقدو خدين للنبل والملم والفضل

•••

هو في العمل والمرأة ، لا في الموضوعات والمواد التي بناؤها عمل
للعامل وسرعة للتمرن ؛ إذ هي في المنزلة الثانية من الأهمية .
وقد يقوى النظر في الصحراء وهي خاوية أشد من قوته في المدن
وهي أهلة حافلة ، مادام للنظر في الصحراء عاملاً لا يكف عن
الرؤية والانتباه

ومؤدى ذلك أن المهم في إنضاج العقل للشرق أن يعمل
ولا يكف عن العمل ، سواء كان موضوعه تراث الشرقيين
أو تراث الغربيين

فإذا عمل فهو ناضج ، وإذا وجد مادة للتفكير فهو مفكر ،
وإذا امتلأ بالإدراك فهو مدرك : أي كان موضوع تفكيره وإدراكه
والمثل المحسوس هنا أحق بالتقرير من الآراء العامة والأحكام
الطارئة ، فنضرب الأمثلة بالأسماء المعروفة ولا تقصر القول على
رأى متنع أو حكم مسلم للبرهان

فما للقول في هارون الرشيد ؟ وما للقول في ابن خلدون ؟
وما للقول في جمال الدين الأفغانى ؟ وما للقول فيمن سبقهم
أو لحق بهم من « الناضجين » الأفغانى ؟

أكان هارون الرشيد حاكماً ناضج للعقل أو لم يكن كذلك ؟
وابن خلدون — ألم يكن مفكراً تاريخياً ناضجاً للتفكير بقول نظيره
في السابقين واللاحقين ؟

وهكذا يقال في جمال الدين الأفغانى وكل دراسته شرقية ،
وكل ما استفاده من قليل الثقافة الغربية لم يؤثر في تكوين عقله
ولا في طبيعة التراث للشرق الذي نشأ عليه . فهم جميعاً أنضج
عقلاً من التلميذ الحديث الذي يعلم من العلوم المصرية ما لم
يكونوا يملكون

هؤلاء ناضجون لا صرءاء ، وكانت لهم ومن حولهم حياة عقلية
ناجحة لا صرءاء ، وكان للتراث للشرق هو التراث الذي عولوا عليه
بغير التباس ولا مناقضة ، إذا جاز الالتباس أو جازت المناقضة
في شئون الرجال للنوابغ الذين يبشون معنا الآن

والواقع — أيها الإخوان والأبناء الأعزباء — أن الشرقيين
لا يمكن أن تنضج لهم حياة عقلية في غير تراثهم الذي ينتمى
إليهم ويصطبغ بصبغهم

هذه للعقول إذا جاز أن يقترب بالعلم الطبيعي وما إليه من تراث
الإنسان ؟

شيء آخر يجب أن يخرج من حسابنا إذا تكلمنا عن تراث
الشرقيين وتراث الغربيين ، ونمى هنا المعارف الرياضية من
هندسة وحساب وما هو من قبيل الهندسة والحساب ، فإن الحقيقة
الرياضية لا تتغير بتغير الزمان والمكان ولا بتغير الأمم والأفراد .
وليس من شأنها أن تصطبغ بالصبغة الشخصية أو بالصبغة القومية
حيث كانت ، بل هي لا تتوقف على المشاهدات والمحسوسات
بمقدار ما تتوقف على قوانين العقل المجرد الموزول عن خصائص
الأوطان والأزمان ... وأين هي الحقيقة الرياضية التي يصح
على أي وجه من الوجوه أن تسمى حقيقة يونانية أو مصرية
أو صينية ؟ وأين هي الرياضة الشرقية أو الرياضة الغربية ؟
إذا قيل إن هذا قانون رياضي فقد قيل هذا قانون إنساني يملكه
الشرقيون والغربيون على السواء ، وامتنع أن يتعارض هذا
وما يسمى تراثاً للشرقيين أو للغربيين

ومما تقدم يتبين لنا أن التراث للشرق يجتمع مع العلم الطبيعي
والعلم الرياضي في بيئة واحدة . ونود فنقول مرة أخرى :
إن أحداً لم ينكر أن للعقول نضجت في الشرق على تراثه دون
غيره ، فكيف ينكر أحد أنها قابلة للنضج إذا جاز أن تنضج إليه
العلوم الطبيعية والعلوم الرياضية ؟

ونصل بمد هذا إلى النضج للعقل للقول في التعريف به
كلمة وجيزة تؤكد معنى ما قدمناه
فالعقل للناضج بجميع الملكات الناضجة والحواس الصحيحة
إنما يتم له النضج بالمرأة والمزاولة أي كان الشيء الذي تقع فيه
المرأة والمزاولة

خاصة البصر مثلاً تستوفى حظها من القوة بالنظر إلى
الأشجار كما تستوفى حظها من القوة بالنظر إلى الصخور
وعضلات الجسم تقوى بحمل النحاس كما تقوى بحمل الحديد
أو الفضة أو الذهب أو الجواهر الكريمة

والعقل يستوفى نضجه بأن يعمل ويفكر ويبحث فيما يراه
ومحيط به ، أي كانت للمائل التي بناؤها بتفكيره وبمحة
قائمهم في تصحيح الملكات والقوى العقلية أو الجسدية إنما

فغير ممكن كما أسلفنا أن نجعل العلم العليبي ترانكا شرقياً أو غربياً بأية صفة من الصفات ؛ وغير ممكن كذلك أن نجعل العلم الرياضي ترانكا ينسب إلى الشرقيين أو إلى الغربيين فلم يبق إذن إلا التراث الخاص بالشرقيين الذي لا يشاركهم في خصائصه مشارك من العالمين ، وهو التراث المشتمل على ما لهم من أعمار ومواعظ وأمثال وحكايات وآداب وقواعد سلوك ، وفي طليعته روح العقائد الدينية والحكمة النفسية والفكرية ، وما يصاحب ذلك من قفه شريفة ودين وقد يسأل السائل في هذا للمرص : وما الرأي في الأشعار والأمثال والحكايات التي تنقل من الغربيين ، وهي تراث غربي لا نزاع فيه ؟

فجوابنا على هذا السؤال أن التراث الغربي الذي ينتقل إلى الشرقيين ينقسم إلى قسمين : القسم الذي يمكن أن يمتزج بحياتهم وهو من نوع تلك الحياة فلا يلبث أن يدخل في الشرق حتى يمتزج بصفتهم ويجري على سنته ، ومثله في هذه الخصلة مثل الفتاحة الأمريكية التي تجرى في دم آكلها من المصريين : هي فتاحة أمريكية ما في ذلك خلاف ؛ لكن الدم الذي يتولد منها في جروق آكلها دم مصري وليس بالدم الأمريكي أو الذي يُعنى صاحبه إلى الديار الأمريكية وقرق بين هذه الحالة وحالة النسب الذي يخلط الدماء بالدماء

ويخرج لنا صلاة لاهي إلى هنا ولا إلى هناك

والقسم الآخر من التراث الغربي الذي ينتقل إلى الشرق هو للقسم الذي لا يمتزج بحياة الشرقيين ولا يدخل لهم في عقل ولا روح . وهذا غريب عنهم وهم غريبون عنه . وحكمهم فيه حكم المنفرد المابر الذي يربه وكلاهما باق حيث كان : هؤلاء شرقيون وذلك تراث غربي لا يدخل في عوامل النضج العقلي أو في عوامل التكوين ، سواء رجنا فيها إلى الأفراد أو إلى الشعوب

ومعنى هذا أن الحياة العقلية إذا نضجت بين الشرقيين فهي شرقية لاحقة بالتراث الشرق ، أيا كان المصدر الذي جاءت منه أو حملت عنوانه ، ولا يصح أن تنسب إلى غير الشرق إلا كما يصح أن تنسب دماؤنا إلى استراليا وأمريكا لأننا نأكل التمخ الاسترالي والفاكهة الأمريكية في بعض الأوقات

وعلى أية حال ليس لنا مناص من إحدى اثنتين : إما أن نقرر أن الشرق خلا من الحياة العقلية الناضجة في جميع المصور وهو مخالف للمقول ومخالف لإجماع الآراء ؛ وإما أن نقرر أن الشرق قد عرف الحياة العقلية الناضجة ولو في عصر واحد من عصوره ، وهذا في لبايه مرادف لقولنا : إن التراث الشرق كاف لنضج الحياة العقلية بين الشرقيين .

عباس محمد المقاد

صدرت الطبعة الثانية من ديوان الشاعر علي محمود طه

لِيَا لِيِ الْمَلِيعِ السَّائِه

لجنة ممتازة من نخوة الرواة على درر فاخر ونسج جدير

يطلب من جميع المكتبات للتبيرة بالقاهرة ومن مجلة الرسالة وفي الأقطار المصرية من شركة فرج الله للسياحة

ثمن للنسخة ١٢ قرشاً خلاف مصاريف البريد والنقل

وزارة المالية

مصلحة الناجم والمهاجر

ذكر مهوياً باعلان المصلحة

المنشور بالعدد ٤٠٤ من المجلة والخاص

ببناء حوائط من الدبش والمحدد له

جلسة ١٥ أبريل الجاري — كلمة

« توريد » والصواب تلافى هذه

٧٩٥٨

الكلمة .